دراسة الرموز الطبيعية لتنمية الأطفال في أشعار سليمان العيسى (ديوان أراجيح تغني للأطفال)

Study of natural symbols for the development of children in the poetry of Suleiman Al-Isa (the divan of Aarajih for children)

د.عفيفه موحديان عطار (الكاتبة المسؤولة)

خريجة الدكتوراه ومدرسة اللغة العربية بدائرة التعليم و التربية-دائرة التعليم و التربية الأولى-محافظة خوزستان-مدينة الأهواز -

afifehmovahadian@gmail.com

د.عاطى عبيات

أستاذ المساعد فى قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة فرهنكيان، طهران

Ati.abyat@cfu.ac.ir

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022-07-27	2023-05-17	2023-12-04

Abstract

Suleiman Al-Isa is one of the contemporary Arab poets. The research aimed at studying in his poems based on the descriptive-analytical approach and aims to address the symbols and display critical image of the level of the poet's skill to use symbolic features in his poetry to express his thoughts and emotions. The important reason that led to this research is the symbolic character of the most important elements of the social and political factor to educate children and calls to activity, play, revolution, freedom and makes nature a measure of the completion of the symbol of the homeland, resistance and takes advantage of the words simple and distant purpose has a profound impact in the soul , tone and rhythm. The bird is symbol of activity, longing, freedom. Mountain carries different meanings, such as elevation, ability, integrity, resistance and strength. The peak of the mountain is symbol of elevation and elation. The sun in fact refers to the heat of the love of God. The Light is symbol of truth and guidance. The spring is symbol of redefinition of life and refers to the restored. Winter is symbol of suffocation. The Wind is symbol of revolution, change and movement.

Keywords :symbol, nature, Child literature,Suleiman Al-Isa

المقدمة

يعد الأدب الطفل من الأنواع الأدبية الحديثة، وهو لايختلف كثيرا عن أدب الكبار إلا أن الصغار لهم خصوصية معينة يجب مراعاتها عند القيام بالكتابة لهم؛ فيجب مراعاة إدراكاتهم ومراحل أعمارهم والألفاظ الموجهة إليهم، والكاتب للأطفال يجب عليه أن يراعي المباشرة في كلامه؛ لأن الطفل ليس لديه العقل الكبير والمادة المعرفية الكافية كي يفسر تلك الإيحاءات والرموز وقد عنى هذا الأدب بإهتمام كبير من قبل الكثير من الأدباء والنقاد الغربية وأدب الأطفال «أدب يتوجه لفئة محددة من الناس وهى فئة الأطفال من عمر أشهر حتى مرحلة المراهقة.». [1]

وأدب الأطفال «باعتباره وسيطا تربويا يتيح الفرص أمام الأطفال لمعرفة الإجابات عن أسئلتهم واستفساراتهم ومحاولات الإستكشاف وإستخدام الخيال وتقبل الخبرات الجديدة التي يردفها أدب الأطفال. [2]». وتشكل الطفولة جذور في بناء الإنسان ولذا يؤكد علماء النفس ضرورة الإهتمام بالطفل ورعاية خصائصه العقلية والوجدانية والجسمية.

لكن الهدف التربوي الأدبي يجب ألايُنسيَ الأديبَ، أن أدب الأطفال مزيجٌ من الفن والتربية، وتربية خيال الطفل على حرية التحليق، لابدّ أن يوظّف توظيفاً يقتضي ربطا لطفل بواقعه مهماحلّق فوق هذا الواقع، وإبتعد عنه، ليبقى إجتماعياً مع فرديته. وإنّ الطفل بخياله الوثّاب، ونفسيته التي تتقبّل المعرفة وتستقبل كلّ جديد، يجد في الرمز الشفّاف ملاذاً يرتاح إلى ظلاله وأبعاده، لأنّ علاقته به تكون أقرب ماتكون إلى لهوه و تسلياته الطبيعية. ونظراً للتطوّر الذي قطعته الحداثة الشعرية، فإن الصورة تنوّعت بتنوّع تجارب الشعراء الثقافية،وإختلفت بإختلاف أمزجتهم الإجتماعية، لذلك وُجدت صورٌ تميلُ إلى الرمز والإيحاء، كما تميل إلى الصراحة والمباشرة، أو تُعرض عن التصريح،كما وُجدت صورٌ أخرى حَضَرَ فيها المشبّه، وغاب عنها وجه الشبه، فجاءت مرسلةً، و بليغة، ومؤكّدة، وكانت واضحةً، وغير واضحةٍ.

هدف البحث: الكسف عن الرموز الطبيعية ودلالتها لتنمية الأطفال في شعر سليمان العيسى.

سؤال البحث: كيف تتحمل الطبيعة فيشعر الشاعر التأويل الرمزي؟

فرضيةالبحث: الشاعر يتخذ من الطبيعة رمزا يجسد لنا متناقضات الحياة لتجميل اللفظ وتعميق المعنى وقدرة الرمز لبيان ما فى فكره وعدم الحرية في المجتمع والعامل السياسى.

خلفيةالبحث: أرى في هذاالنطاق قد صدرت عدة دراسات منها:

رسالة ماجيستر «التناص في شعر سليمان العيسى» لنزار محمد عبشى في جامعة البعث بسورية ورسالة ماجيستر «ادبيات كودكان در سرودهاى ديوان الأطفال سليمان لعيسى» لسمية اكبربور من جامعة سمنان. ومقالة «بررسى وتحليل أشعار تعليمى سليمان العيسى در حوزه ادبيات كودک» من مهين حاجيزاده وآخرين نشرت في مجلة نقد الأدب العربي ومقالة «مضامين شعر الاطفال عند سليمان العيسى»كتبها محمد عزام فى السنة 2008م. ومقالة «الرمز الطبيعي ودلالته في شعرسليمان العيسى (ديوان أنا والقدس) كتبها نادر محمدى ونشرت في مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية في السنة 2017م. وأصدرت عدة دراسات والمقالات التي إهتمت بالصورة الرمزية، منها: «الطبيعة الرمزية فيشعر بدر شاكر السياب ونيما يوشيج» لحامد صدقى منتشرة في مجلة دراسات اللغة العربية وآدابها العدد الخامس عشر،خريف (2013م) وان الباحث يبحث عن الشاعرين على النظرية الأمريكية بنظر الإعتبار نظرية التأثير والتأثر وتجاذبات الحاكم والمحكوم وإنهما إهتما بعنصر الطبيعة ليجسدا فضاءات الحرية بأمل المستقبل والحياة المستنيرة. ومقالة «الرمز والأسطورة والصورة الرمزية في آثار جبران» لسردار أصلاني وآخرين في مجلة فصلية اللسان المبين، السنة الرابعة، العدد العاشر، شتاء 1391 هجري-شمسي، تناولوا فيها رمزية جبران في قصصه ومقالاته وجاءوا بإشارات للفروق بين الرمزية الغربية ورمزية جبران كما إهتموا

بموضوعا لأسطورة لدى جبران، فمن هنا شعرت برغبة لتناول هذا الموضوع إنطلاقاً من موقف نقدي معين وجديد لهذا الإتجاه، مستنداً على الأسلوب العلمي النقدي ولإستكشاف الجوانب الفنية في شعر وإن الدراسات التي كتبت حول الشاعر لم تدرس أشعاره من حيث رموز الطبيعية ودورها فى ديوانه أراجيح تغني للأطفال ولما كان عدد الرموز المستخلصة من شعرسليمان العيسى كبيرا فقد إقتصرت على الرموز المهيمن منها الطائر والجبل والريح والحيوان والشمس وأتمنى أن يكون هذا البحث بداية لبحوث نقدية تعالج جميع صور الشاعر الفنية الرمزية، والتي لم يتسنّ لي التطرق إليها إلا بصورة مختصرة.

سليمان العيسى في سطور:

العيسى هو شاعر سوري (مواليد النعيرية في أنطاكية من لواء إسكندر ونعام 1921 موتوفي في 9 آب 2013عنعمر 92 سنة) تلقى تعليمه وثقافته الأولى على يد أبيه أحمد العيسى في القرية، فحفظا لقرآن والمعلقات وديوان المتنبي وآلاف الأبيات من الشعر العربي. ولم يكن في القرية مدرسة غير (مدرسة الكُتَّاب) الذي كان بيت الشاعر الصغير، والذي كان والده الشيخ أحمد يسكنه، ويعلّم فيه. شارك مع زوجته الدكتورة ملكة أبيض في ترجمة عدد من الآثار الأدبية، أهمها آثار الكتاب الجزائريين الذين كتبوا بالفرنسية . شارك أيضا مع زوجته وعدد من زملائه في ترجمة قصص ومسرحيات من روائع الأدب العالمي للأطفال .

وبدأ سليمان العيسى كتابة الشعر في التاسعة أو العاشرة فكتب أول ديوان من شعره في القرية، تحدث فيه عن هموم الفلاحين وبؤسهم وامتطى صهوة الأناشيد وراح يصول ويجول فى حدائق الشعر حرية ثم يضع كل في هذه الحديقة من الطبيعة وإختياراته وملاحظاته في قالب شعر يسهل الوصول والفهم للأطفال، رقيق تمتع به و بعيدة الهدف يلقى وراءه ظلالا وألوانا وله أثرا عميقا في النفس. والطبيعة هى المكان الذي يحتضن الأطفال ويوفر لهم ما يحتاجون إليه ويمارسون فيه أنشطتهم. «ومن هنا جاء إلحاح سليمان العيسى على غناء الأناشيد قبل أى شيء؛ فهوقائل: دعوا الطفل يغنى/ بل غنوا معه أيها الكبار. [3]» ويتألف ديوانهم ما يربو على مئة نشيد، تغنى بالطبيعة أكثرها.

الرمز:

الرمز (symbol) فى اللغة يطلق على «الإشارة بالشفتين أو الحاجبين أو اليد أو الفم أو اللسان. [4]». وفي المصطلح هو «المعني الباطن تحت المعني الظاهر الذي لايمسه إلا أهله. [5]».

وينبغى أن نذكر «نشأت الرمزية فى أواخر القرن التاسع عشر ردّ فعل على الرومانسية والبرناسية، وإستمرت حتى أوائل القرن العشرين معايشةً البرناسية والطبيعية، ثم إمتدت حتى شملت أمريكا وأروبا[6]». وإن الشعر العربي الحديث لم يولد رمزياً بالمعنى المذهبي للرمزية وإنما ولد هذا الشعر رومانسياً محضاً ولحقبه الرمز بعد فترة، «والشاعر عند ما يستخدم الرمز لايستخدمه بمفهومه المذهبي بل يستخدمه في الأساس كمحاولة لإقتناص حقائق ومعاني لايستطيع التعبير المباشر اللحاق بها. [7]».

فالرمز هو أحد أساليب اللغة في التعبير الشعري بشرط ألا يتحول إلى لغزٍ، بل يجب أن يظل على شفافية توحى بمضمونه وأن الشعر إذا وقف على تمام المقصود لم يبق به شوق إليه أبدا وليس يشكُّ أحدٌ أنَّ الشِّعْر في أصْله هو معانٍ يُريدُها الشاعِرُ، وأنّ هذه المعاني ليستْ إلا أفكارًا عامَّةً يشتركُ في معرفتها كثيرٌ من الناس، وأنها دائرةٌ في الحياة على صورتها التي تأخُذُها بها كلُّ عينٍ، ويتداولُها مِنجهته كلُّ فِكْر،وأنها – إذ كانت كذلك – ليستْ شيئًا جديدًا في لحياة، ولا في معانيها وأوصافها وحقائقها. ويرى شوق يضيف «أن المدرسة الرمزية تؤمن بأن الشعراء لايستطيعون الإفصاح عن مشاعرهم ومعانيهم

الغامضة إفصاحاً دقيقاً، لأنا للغة أعجز من أن تؤديها ولذلک ينبغي الإستعانة على تذليل ذلک بالإيحاءات التصويرية والموسيقية[8] ».

وأما الفرق بين الرمز الأدبي والشعري هو أن الرمز الأدبي «تركيب لفظي يستلزم مستويين: مستوى الصورة الحسية التي تؤخذ قالباً للرمز، ومستوى الحالات المعنوية التي ترمز إليها بهذه الصورة الحسية[9].». وأما الرمز الشعري مرتبط بالتجربة الشعورية التي يعانيها الشاعر فالتجربة الشعورية هى التي تستدعى الصور والرموز.

وعلينا أن ندرک بوضوح أن إستخدام الرمز في السياق الشعري يضفى عليه طابعا شعريا. بمعنى أنه يكون أداة لنقل المشاعر المصاحبة للموقف وتحديد أبعاده النفسية. وفي هذا الضوء ينبغي فهم الرمز في سياق الشعري أى في ضوء عملية الشعورية التي تتخذ الرمز أداة وواجهة لها[10].

الطفل:

لاشک أن الطفولة مرحلة من أهمال مراحل المؤثرة في حياة الإنسان وكذلک مجتمعه الذي يعيش فيه، لذلک فإن كل عمل تربوي صحيح سوف يؤثر على معظم جوانب حياة الإنسان في مستقبله وعلى مجتمعه أيضاً، وفي المقابل تؤثر كافة الأساليب غير السوية والخاطئة في تربية الطفل على حياته وبالتاليل هذه الممارسات الخاطئة آثار سلبية على مصالح الأطفال وتعرض مستقبلهم للخطر «فالطفل ثروة الحاضر وعماد المستقبل تعتمد عليها لأمم في تشييد حضارتها لذلک تعمل على إعداده وتربيته للقيام بأداء المسؤوليات التي يلقيها المجتمع على عاتقه. [11]» وبذلک إهتم العلماء والمفكرون إهتماماً كبيراً بهذه المرحلة وكتبوا بحوثا ودراسات خاصة وضّحوا فيها الطرق السليمة لتربية الأطفال وتعليمهم. وإلى جانب العلماء والمفكرين، تفرغ عدد من الأدباء لتعليم الأطفال وخلقوا أدبا غايته نمو الطفل وتطوره المعرفى بالإضافةإلى تنمية مواهبه وقدراته الأدبية.

وإنّ شعر الأطفال يسهم بدورٍ هام في تربيةالطفل، وإعداده للحياة بشكل مثمر، من خلال تحقيق جملة من الأهداف، منها: أنّه يعدُّ وسيلة تعليمية لتزويد الأطفال بالمعارف والتجارب والقيم الإنسانية، وبالألفاظ والتراكيب الجديدة، تنمّي ثروتهم اللغوية وتعينهم على حُسن إستخدام اللغة، كما يعدُّ هذا النوع الأدبي وسيلة مثلى للتعبير عن أحاسيس الأطفال ومشاعرهم، وإثارة الإحساس بالجمال، والسرور في نفوسهم، إلى جانب دوره في معالجة بعض حالات الخوف والخجل والإنطواء، والكشف عن مواهبه منظماً وإلقاءً .

ويعتبر الشعر أيضا من أهمال أجناس في أدب الأطفال، وذلك ماله من إهتمام كبير عند الأطفال من خلال المواضيع التي يعالجها وقد «التفت الشعراء على ما يمثله الشعر من أثر في نفوس الأطفال والناشئة لما يمتاز به من إيقاع موسيقي وخيال ساحر، فتوجهوا بخطابهم الشعري إلى الطفل طامحين إلى غاية تربوية وتعليمية، مستهدفين غرس القيم الروحية والإنسانية النبيلة في نفوس الأطفال. [12]».

ويكون الشعر أكثر الأنواع الأدبية تأثيراً فى تربية الأطفال وتنمية قدراتهم بسبب ما يحمله من عواطف وأحاسيس جياشة ومؤثرة إضافة إلى الموسيقى التى تساعد على نقل المفاهيم وتخليدها فى أذهان الأطفال. و«الشعر لا يعكس الحياة فحسب ولكنه فوق ذلک يظهرها فى أبعاد جديدة ولأنه لايقتصر على متعة الموسيقى والعاطفة بل ينتقل منها الى الحكمة فوق أنه يدخل البهجة والفرحة على الأطفال ينبغى أن يساعدهم على تنمية مدركاتهم ونفاذ بصيرتهم. [13]».

والشاعر يؤكد على ضرورة علاقة الكبار بالصغار ودورهم الفاعل ويقول:«دعوا الطفل يّغني بل غنّوا معهم أيها الكبار[14].».

ومهمة الأديب الذي يكتب للأطفال لا تقف عند العرض والتحليل بل يتجاوز ذلك إلى مهمة ترسيم معالم هوية الطفل، وتعزيز انتماءه إلى الوطن وغرس الصفات النبيلة فيه.

الطبيعة:

إن للطبيعة دور أساسي في تنمية مدركات الطفل، وتعزيز قدراته، وبناء مكتشفاته ومهاراته، فهناك دائما علاقة اجتماعية بين الطفل والطبيعة، هذه العلاقة هي التي تمد الطفل بالمثيرات والخبرات التي تثري مهاراته وإحساساته ونشاطاته اللامتناهية.

وتصبح الطبيعة بكل دلالاتها ورموزها وشخوصها، بمثابة (المعلم التلقائي) للطفل، هذا المعلم الذي يعينه على فهم نفسه والمحيط، والبيئة والجمال والنظافة والصحة والقوة والنشاط. من خلال ما تمثله له الطبيعة من هذه المكونات التي تجسدها في صورها الطبيعية، فتصبح هناك علاقة جسدية بين الطفل والطبيعة (علاقة تحقق له الصحة والجمال.. فالطفل الجميل هو طفل صحي، فالجمال لا يكتمل إلا بالصحة، والطبيعة ضرورية بكل مكوناتها لبناء نفس الطفل وجسمه، فمع ان الطبيعة بحد ذاتها تدخل السعادة إلى نفس الطفل.. إلا ان هذه السعادة لا تكتمل إلا إذا تمتع الطفل بالحيوية وبصحة الجسم..

ويشكل الرمز الطبيعي من أهم عناصر الصورة الرمزية وهو يبرز رؤية الشاعر تجاه الكون والوجود كما أنه يمكن الشاعر من استبطان التجارب الحياتية والشاعر إذ يستمد رموزه من الطبيعة يخلع عليها من عواطفه فتصبح الكلمات رقيقة شفافة محملة بالدلالات وان المفردات التي تستخدمها الشاعر في الشعر إستخداما رمزيا. «ولاتكون هناك كلمة هى الأصلح من غيره تكون رمزا، إذ المعول في ذلك على إستكشاف الشاعر للعلاقات الحسية التي تربط الشيء بغيره من الأشياء[15]».

ويعتبر يونغ النبات «رمز اللحيوية وانفراج الحياة النفسية كما أنه يعتبر الحيوان رمز اللحياة الغريزية لدى الإنسان. [16]». ويعتقد «أن هناك نوعا من الطبيعة والتضامن المستمرين بين الإنسان والحياة عبر العصور ففي رأيه فإن بعض القبائل تعتقد بسيطرة النبات على الروح الإنسانية. [17]»

إنّ الرمز الطبيعي يتميز بالدينامية والحيوية التي تعطي للمبدع حرية التصرف الفني في هذا الرمز. ومع التأكيد على ذلك كما يقال لا نغفل أنّ للأشياء أهميتها وتاريخها في الوعي الإجتماعي، ولا يمكن للمبدع أن يهملها أو يتغاضى عنها، غير إنّ تلك الأهمية متواصلة النمو والتبدل والتغير، تبعاً للتجربة الإجتماعية المتبدلة والمتطورة هي الأخرى فالعمل الرمزى لايمكن فقط في مجرد شحن الإشارات الرمزية وإنما الإبداع يتمثل في توظيف دلالات الرمز للتعبير عن القيم والمشاعر الإنسانية والإجتماعية.

يقول الدكتور جودت الركابى إن شعر الطبيعة هو الشعر الذي يمثل الطبيعة وبعض ما إشتملت عليه في جو طبيعى يزيده جمالاً خيال الشاعر وتتمثل فيه نفسه المرهفة وحبه لها وإستغراقه بمفاتنها ويقرر أيضا أن (شعر الطبيعة) تعبير جديد في أدبنا جاءنا من الآداب الغربية... وكان من أهم مظاهر الحركة الإبداعية الرومانسية في أواخر القرن الثامن عشر.. والطبيعة كما يفهمها الرومانسيون صديقة وفيّة يحبونها لماتمنحه من جمال لحسّهم وهدوء لنفوسهم فيستسلمون إليها ويشاطرونها المناجاة ويبوحون إليها بعواطفهم وآلامهم. [18]

ودفع الشعراء إلى التيار الرومانسي الثائر «على سيادة المنطق و العقل في الفن، الذى نشأ في أروبا ويدعو إلى إتخاذ العاطفة أساسا في التجربة الفنية. [19]» والأدب والشعر عند الرومانسيين «ليس محاكاة للحياة والطبيعة بل هو خلق وإبداع. والخلق والإبداع عنده ولا يعتمدان على العقل والملاحظة المباشرة بل يعتمدان على الخيال المبتكر والعاطفة المتأججة. [20]»

والطبيعة معين الرومانسيين الذى لا ينضبفهم ينشدون السلوان فيها ويبثونها أحزانهم ويناظرون بين أحاسيسهم ومظاهرها...ويخاطبون الأشجار والأزهار والأنهار والنجوم وأمواج البحر. [21]» وكانت الطبيعة سبيل إلى التحرر، فهى سبيل العصر في كل فلسفة أومنطق.

والشاعر المعاصر في تعامله الشعري مع عناصر الطبيعة إنما يرتفع باللفظة الدالة على العنصر الطبيعي كلفظة الطائرة مثلاً من مدلولها المعروف إلى مستوى الرمز لأنه يحاول من خلال رؤيته الشعورية أن يشحن اللفظ بمدلولات شعورية خاصة وجديدة.

الطائرة:

"الطائر هو رمز لتخلص الروح من عبودية الأرض..." يقول عالم الأساطير الكبير جوزيف كامبل، وبالتالي فهذا النزوع إلى الحرية ليس أكثر من إبتعاد عن العالَم الأرضي المليء بالمتاعب. وكنا ذكرنا أن الطيران شكل من أشكال الدوران المتصاعِد، ولكن لا نرى دائرة في الهواء، فالريح تهب حيث تشاء، وبالتالي فالصور التي تعالج حركة الروح، تكاد تترافق مع موضوع اللاتوقع أو الأزمة المفاجئة كما يقول فراي. إذن، فعل الطيران في حد ذاته يعبِّر عن مخالفة ما هو مألوف تمامًا، وكما يقول ميرسيا إلياد:

«رمزية الطيران في جميع مستويات الثقافة، وعلى الرغم من الفروق الكبيرة في السياقات الثقافية والدينية، إنما تعبر بصورة دائمة عن تجاوز الشرط البشري، وعن التعالي والحرية»[22]

كانت طائرة يطلقها فى الهواء والجو كانت تحوم على هيئةِ دوائر:

دَوائر... دوائر
كلمح الخواطر
تَحومُ وتَهوى
كَأسرَعِ طائِر
فَيا لَكِ لُعبَة
تُثيرُ الخَيال
تُعلِّمُ عُقبة
رُكُوبَ المُحَال
يقول الصغيرُ
لها اذ تحوم
غدا سأطيرُ وراءَ الغُيوم[23]

وهذا يشير إلى دوران الحياة والعيش والطائر يطير فيه وعاقبة الطائر الركوب على المحال والسير في الفضاء والطائر هناك في الظاهر الطفل الصغير وهو يطير في الفضاء المحير وفي الواقع رمز للنشاط والشوق والحيران ودوران الحياة والحرية والثورة والجهاد ... والغيوم هى رمز للفضاء الكدرة الموجودة في وطن الشاعر.

أنالم أبق طفلة
...سوف أمضى فراشة
بينكم تَبهَرُ النَظَر[24]

وترمز فراشة في هذه الأبيات للزينة وتبهر النظر وجمالة الطفلة ولمعانها حين تكبر ويمكن أن نقول ترمز الفراشة للكمال وجمال وجود الذات أيضا ويشير إلى تأثير الطفلة في ترقية المجتمع و...

إننى طائرة من ورق
أجمل الألوانِ في أجنحتي
فإذا شاهدتني في الأفق
فتعلم ياصديقي لغتي
لغتى أني أطير
في السماوات أطير...
ويطيرون معي في الحلم
آه ما أجمل الدنيا الحلمِ[25]

يحب الأطفال أن يطير في السماء أكثرهم ويشير إلى الحرية والخروج من الجسم المحدود مع الروح والنفس المنتشرة في الجود والقيود وشبه اليد بأجنحة الطائرة وهذا يمكن أن يشير إلى طموح الإنسان وهدفه العالي أن يطير ويسرى في السماء وإذا شاهد الآخرين الطفل يعلمون صداقة الفاظه ويتبعونه ويطيرون معه وما أجمل الدنيا بجميع أحلامها والطير أيضا رمز للسلام والخير. والطير في الحلم يشير إلى الأرض المحتلة وسكانها الذين ينتظرون دائما في الدنيا بالحرية والإطلاق.

وإن الإبداع معناه تجسيد حلم الطفولة وجعل الأدب معادلا حقيقيا وفنيا وإنسانيا حيث الوصول بالطفل إلى معايشته لتحويل الحلم وجمالياته وإنطلاقه إلى سلوك وفكر ناضج ووعى سليم وهذا من أهم عناصر ومقومات بناء شخصية الطفل.

ما برح نموذج الطائر في اللاوعي الجمعي يحثُّ الإنسان على محاولة الطيران، وعلى الحلم بالطيران، والتحرر من جاذبية الأرض الثقيلة، والشعور بحرية الطائر في سماء لامتناهية، وقد ساعدت التكنولوجيا الإنسان في تحقيق حلمه في عصرنا الحديث، ولكن حتى التكنولوجيا نفسها كانت تفعل في اللاشعور الجمعي

الجبل

إن الطبيعة مجال رحب للهروب من الواقع والعالم المصطنع الذي تمنع الإنطلاق فيه العادات والتقاليد.

كان المَعز يرعى في معالي الجبل وقد عبر عن ذلك بعض أفراد القطيع :

يا نسمةَ الِجبال يا نقية
يا نَسمةَ الجِبال
إنا عَشِقنا الشَمسَ وَالحُريَّة
في هذه التلال[26]

نلاحظ أن الشاعر حاد عن الألفاظ التراثية الموسومة بالفخامة والجزالة إلى الألفاظ العادية المستمدة من الحياة و قد غرفها الشاعر من عالم الطبيعة والإنسان. والجبل يحمل معان ودلالات مختلفة منها الرفعة والعلو والملجأ والقوة والقدرة والاستقامة.

والحرية رمز لإنطلاق وحرارة حب الوطن والنجاة عن الحرب. والتلال بمعنى الوطن. والشاعر بلسان الطفل يريد من المجتمع وعوامله السياسية الخير والسلام والحرية.

يا أيها الجيرانُ في السُهول

تَسَلَّقوا القِمَم
عيشوا مَعَ النُسورِ والوُعُول
المَجدُ لِلقِمَم! [27]

السهول هناك من مواضع الخفة ويشير إلى سهولة العيش والجيران في السهول رمز للبلدان العربية لا تهتم بأراضي المحتلة والدعوة من الجيران على القيام والحركة والمقاومة والدفاع والمساعدة ويقول تسلقوا القمم بمعنى إصعدوا إلى الأعالي والرفعة وقمم الجبال هى رمز للرفعة وعلو الهمة والهدف وهناك المقاومة للحرية والنجاة والنجاح ويعيش النسور والوعول في المعالى لعلو هدفهم والمقصود وطلب الشاعر من الجيران بالطموح والمجد والعيش في الأعالي كالعيش النسور والوعول (رمز للطموح وعلو النظر) ...

ويولي الشاعر إهتماما بارزا في تنمية الروح الوطنية والإنتماء إلى القيم الإجتماعية.

الشمس:

الشمس في المعنى الاصطلاحي: نجم ثابت وكتلة ملتهبة من النار، ولكن لها في المعجم الشعري دلالات مختلفة، والشمس في الحقيقة إشارة إلى حرارة حب الله في النفس والوجود وكناية عن ظهور نور الحقيقة وقلب منزل وموقع لظهور الحقيقة والحزن والحب و... وفي العرفان «الحبّ العامّ هوالحبّ الذي بواسطته قد خلق الله سبحانه وتعالى العالممنا لعدم لإلمام وتعرّف على ساحة الوجود والشمس تدير وتجرى لكل العالم دون الفرق والإختلاف، إشارة الى الحب الله والتفاته الى جميع مخلوقاته. والمحور الرئيسي الذي تدور عليه رياضات الصوفية المسلمين ومجاهداتهم وتصدر عنه أو ترد إليه أحوالهم ومقاماتهم، فليس ثمةحال أو مقام إلا وهو من الحب الإلهي بمنزلة مقدمة من مقدماته وهو يشغل جوهر التجربة الصوفية وعليه ينعقد مدار البوح الشّعري[28].». وإستخدم الشاعر من الشمس و بما فيها من نور وضياء وحرارة، هي منبع الخير ومن إحدى أسباب الحياة. والنور رمز للحقيقة والإرشاد والهداية.

والذي يطالع القصيدة كلها يلاحظ توازن معجم الذات والطبيعة لدى الشاعر وهذا يدل على أنه ينظر إلى الطبيعة من خلال نفسها ويقوم خيال الشاعر الذي يحده العقل الواعي بجمع شتات الصورٌ حتى ليبدو الطبيعة كأنها قطعة من نفسه أو الشاعر جزء من أجزاء الطبيعة. والشاعر بلغته الساذجة يستلهم من حياة الطفولة ويستدعي عناصر البيية الطبيعية ويرسم المفاهيم الأخلاقية والقيم الإنسانية النبيلة للكون.

الحيوان:

أقام علاءُ فترة في الريف ويحب الحيوانات التي كانت تعيش في المزرعة بعد أن يخاف منها :

صديقتي الدجاجةُ البُنيَّة
والهرةُ الاليفةُ الذِكيَّة
صديقتي الاوَزَّة
بريشها مُعتَزَّة
يكون لي وِسادة طَرية
يَمنحُني أحلامىَ الوردية
صديقي الخروف
يهدى إلى الصوف

ويا نعيم الدفءِ فى الشتاء
احمل إليها لحب والثناء...
يا أصدقاء الخير والعطاء
صديقک معلاء
لن تجدوا في قلبه الصغير
غيرالحب والوفاء[29]

أما الميزة البارزة فقد جاءت الأغنية لتكمل الحالة التعليمية التربوية منجهة وتضفى البهجة والمتعة لدى الطفل منجهة أخرى. ويدعو الشاعر إلى الصداقة والحب مع الحيوانات ويوصف فائدتها منها الوسادة والصوف ويشير إلى أنفي قلوبا لأطفال لنتجدوا إلا الحب والوفاء. وفي بعض الأحيان الحيوان يدل على حركة الطبيعة للأحداث والشاعر يجعل كثيرا من مظاهر الطبيعة رمزا للتعبير عواطفه وشعوره وأفكاره.

وينبغي أن نذكر بأن فن الموسيقى يعتبر من الفنون الجميلة فهو فن الجمال السمعى الذي يستطيع أن يستوعبه الإنسان في الأرض والأناشيد للأطفال لو نمن ألوان الأدب ويعبر عن العواطف الإنسانية والحياة الإجتماعية فالطفل يقبل على النشيد للحب الغريزي ويتأثر منه في مجال الأدب والعلم والمعرفة الإجتماعية والوطنية والدينية و...

إني أحبُ السِحرَ والساحرات
لهُنَّ مِني أجمَل الأغنيات
السِحر لي في نِقاءِ الهَواء
في زرقةِ البَحرِ وَلَونِ السَماء
في لثغة العصفور عند الصباح
يذيع أنشودته لِلأقاح
في ضَجة الأطفالِ إذ يمرحون
يُعطوننا الدنياوهم يضحكون[30]

تشير هذه الأبيات إلى السحر والأسرار في الوجود والطبيعة ولون البحر والسماء وصوت العصفور وصوت الأطفال حين يضحكون ويسروننا وجودهم ويعطوننا الدنيا بوجودهم العطايا والنعم والشاعر يحب هذه الإسرار والرموز في الكون. ويشرح بعضا لنعم الإلهية على البشرية (التي لا تعدّ ولا تحصى)، ليحرک فيهم حسا لشكر والذي من خلاله يتوصلون لمعرفة اللّه. والبحر رمز للمشاكل والمصائب والرعب والخوف والسماء هى رمز لوجود غير محدود والصباح هو أوّل النهار، ووقت رؤية الشمس ويظهر الصباح في الشعر المعاصر كمحور خير وإزدهار وحقيقة وهو دوماً مناهض لليل وما يحمله من إعباء علي المجتمع والشعب العليل وذهاب الليل والظلمة الموجودة والظلم والإستبداد المخيم على المجتمع، وينشر النور الجميل في الطبيعة والحياة والوطن بالواقع ويشير إلى محبة وحرية وسرور الأطفال وضحكتهم من الحرية والنجاة والوعي وتغرد العصفور في الصباح غردة الإنطلاق والخلوص والإنتصار لابد من وقوعه .

كلهم يهزأ مني..كُلُهم

من غبائي ضاحكٌأوساخرُ
أنا أذكى الناس أحياناً ولي
غفلةٌ حيناً وفِكرٌ قاصرُ
أتراهم كلهم من عبقرٍ؟
فيهم ألف حمارٍ سائرُ[31]

سمى الشاعر هذه القصيدة «الحمار يدافعُ عن نفسه» ويظهر للطفل ويعلمه بمدافعة عن نفسه والثقة بالنفس والناسک لهم يسخرونه والإنسان حين يمكن أن يغفل وحين يفهم شئيا وليس المخلوق كاملا في مظاهره الأخلاقية وهناک حمار في البيت الأخير رمز اللحماقة والنقيصة الموجودة في الجميع. وهذه الأغانى نتيجة علاقة وثيقة بين الإيقاع واللعب. ويريد من الأطفال الحركة والمقاومة وأن لايغفلون من قدرتهم وعبقريتهم بأنهم أذكى الناس. والشاعر يعتمد بحركتهم وعقلهم القاصر. ورؤية الحاكمة في هذه الأشعار رويةالأمل والثقة بالمستقبل.

الريح:

ريحُ الرَّبيعِ أنا.. أَشُدُّ عَزائمى
وأطيرُ..أُوقِظُ كُل شىء نائِمِ
يا أرضُ هَيَّا،طالَ نومُک وانفُضِى
عَن مُقلَتَيک رُؤى الشتاء الحالِمِ
وتَحركى مَدَ الربيعُ جَناحَهُ
وأتى جُيوشَ صَوادِحٍ وفَواغِمِ... [32]

شبه الشاعر نفسه بريح الربيع الذي يوقظ النائم في فصل الشتاء وإشارة إلى محاولة الشاعر إلى يقظة النائم والريح رمز لغضب الشعب وثورته وإنفعالاته والدعوة إلى التحرک والتغيير وصوادح بمعنى الطيور وفواغم هنا الأزهار العطرة... وعندما نفكر في الطبيعة نرى كل من الفصول الأربعة يعني الرّبيع والصيف والخريف والشّتاء لها خصائص خاصّة. بينما نرى أن الربيع هومحبوب عند أكثر الناس جوّاً وطبيعة وجمالاً. في الربيع تخضرّ الطبيعة بعد الشتاء القارس البارد وتملأ الأرض بالبهجة والسرور والفرح. فيخرجالناسمنبيوتهمإلىأحضان الطبيعة وينظرون إلى المناظر الجميلة ويتمتعون بالجوّ الرائع ولهذا أكثر شعوب الأرض تحتفل بالربيع والربيع رمز لتجديد الحياة ويشير إلى المعاد في الحقيقة والشتاء رمز للإختناق والظلم الحاكم. تشير الأبيات شكوى الشاعر من بلده ووطنه بطول نومه والغفلة وعدم فهم الحقيقة والريح رمز للثورة. والشاعر بنفسه يريد الحركة واليقظة والتغيير والإصلاح. فاستخدم رمز الريح دلالةً على القوة ورمزا للمقاومة والثورة وإشارة إلى الإخصاب، ورمز التحدي.

وهذه الأشعار تحتوي على مواضيع تعليمية يقدمها الشاعر للأطفال و«ليس المقصود به تقرير حقائق أوحكم في أبيات وإلا أصبح مجرد نظم وإنما المقصود به تصوير هذه الحقائق وتحويلها إلى لوحات نابضة بالحياة[33]» ويريد الشاعر ينشأ الطفل ويتعلمه تعليما صالحا بالمعلومات تسهل عليه حفظها ولم يكتفي شعره بوصف الطبيعة وظواهرها فحسب بل يجاوزه إلى إستخدام الطبيعة كرمز لبيان أفكاره وأمنياته القومية. كذلک تم إختيار دراسة الرموز الطبيعة لكشف أهدافه من توظيفها في أشعاره.

الخاتمة:

يستفيد الشاعر من العناصر الطبيعية ورموزها في شعره للأطفال لأغراضه المقاومة للوطن:

- إرتبطت الأشعار إرتباطا وثيق ابثقافة وقيم الأخلاقية والإجتماعية وإعتقادات المجتمع وتعتبر من أهم الأساليب والطرق التربوية لتحقيق الأهداف. والطفل يجد في الرمز الشفّاف ملاذاً ويتأثر منه فى مجالا لأدب والعلم والمعرفة الإجتماعية والوطنية والدينية بهذه المعلومات التى تسهل عليه حفظها.

-الحديث عن الطائرة وأشواقها وهمومها هو حديث الشاعر عن نفسه، وعن حبه وأشواقه ويلاحظ ذلك من خلال المقارنة بين وجدان الشاعر الصاخب وحال الطائرة ويقوم خيال الشاعر الذي يحده العقل الواعي بجمع شتات الصورّ حتى ليبدو الطبيعة كأنها قطعة من نفسه أو الشاعر جزء من أجزاء الطبيعة.

- يستفيد الشاعر من الألفاظ الرشيقة التي تلقى ورائها ظلالا وألوانا ولها أثرا عميقا في النفس وأسلوب النغمي والإيقاعي.
- والطائر هنا رمز للطفل الصغير وهو يطير في الفضاء المحير ورمز للنشاط والشوق والحيران والحرية والثورة.
- والغيوم هى رمز للفضاء الكدرة الموجودة في وطن الشاعر.
- ترمز الفراشة للكمال وجمال وجود الذات.
- الجبل يحمل معان ودلالات مختلفة منها الرفعة والعلو والملجأ والقوة والقدرة والإستقامة. والحرية رمز لإنطلاق وحرارة حب الوطن والنجاة عن الحرب. وقمم الجب الرمز للرفعة وعلو الهمة والهدف ويعيش النسور والوعول في المعاليل علوه دفهم والمقصود.

الشمس في الحقيقة إشارة إلى حرارة حب اللهفى النفس والوجود وكناية عن ظهور نور الحقيقة وقلب منزل وموقع لظهور الحقيقة والحزن والحب. والشمس وبما فيها من نور وضياء وحرارة، هي منبع الخير ومن أحد أسباب الحياة. والنور رمز للحقيقة والإرشاد والهداية.

- والربيع رمز لتجديد الحياة ويشير إلى المعاد في الحقيقة والشتاء رمز للإختناق والظلما لحاكمو الريح رمز لغضب الشعب وثورته وإنفعالاته والدعوة إلى التحرك والتغيير.
- والبحر رمز للمشاكل والمصائب والسماء هى رمز للوجود غيرمحدود والصباح هو أوّل النهار، ووقت رؤية الشمس وبزوغه وذهاب الليل والظلمة الموجودة.
- الحمار رمز لشخص يدافع عن حقه ونفسه وحينا رمزللحماقة والغباوة.

- المصادر والمراجع:

[1] - نجلاء نصير بشور، دت، أدب أطفال العرب، بيروت، دراسات الوحدة العربية،ص 7

[2] - حسن شحاتة، 1994م، أدب الطفل العربى دراسات و بحوث، ط2، القاهرة، دار المصرية اللبنانية، ص 7

[3]- سليمان العيسى، 2009م، أراجيح تغنى للأطفال، امارات، دبى الثقافة، ص 12
[4]- أبومنصور الثعالبى،2001م، فقه اللغة، شرحه ياسين الأيوبى، ط2، بيروت، المكتبة العصرية،ص219

[5]- روزبهان بقلى، دت، شرح شطحيات، مصحح هانرى كُرى، تهران، انستيتو ايران وفرانسه، ص561
[6]- عبدالرزاق الأصفر، 2011م، المذاهب الادبية لدى الغرب، سورية، إتحاد الكتاب العرب، ص112
[7]- محمد على كندى، 2003م، الرمز والقناع فى الشعر العربى الحديث، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ص58
[8]- شوقى ضيف، 1997م، البحث الادبى طبيعته ومناهجه وأصول ومصادره، القاهرة، دار المعارف، ص87

[9]- محمد فتوح أحمد، 1984م، الرمز والرمزية فى الشعر المعاصر، ط3، القاهرة، دار المعارف، ص202

[10]- محمد العبد حمود، 1996م، الحداثة فى الشعر العربى المعاصر: بيانها و مظاهرها، بيروت، دارالنهاية، ص128
[11] - فوزية بنعمر، 2014م، مفردات قصص الأطفال فى الجزائر ومد يتوافقها معمع جمال طفل، رسالة فى ماجستر كلية الآداب واللغات، الجزائر، جامعة حمة لخضر الوادى، ص مقدمة البحث

[12]- فوزى عيسى، 2007م، أدب الاطفال الشعر، المسرح، القصة، ط1، مصر، دار الوفاء الدنيا للطباعة والنشر، ص11

[13]- الحديدى، على. (1988م). فى أدب الأطفال. ط4. القاهرة: مكتبة الأنجو المصرية، ص199

[14]-سليمان العيسى، مرجع ذكر سابقا، ص24

[15]- عزالدين إسماعيل، 1972م، الشعر العربى المعاصر ظواهره وقضاياه الفنية والمعنوية، بيروت، دار العودة، ص198

[16] - كارل جوستاف يونغ، 2011م، انسان وسمبلهايش، مترجم: محمود سلطانية، تهران، جامى، ص 230-229

[17]- كارل جوستاف يونغ، مرجع ذكر سابقا، ص 24
[18]- جودت الركابى، 1960م، فى الأدب الأندلسى، ط،2، مصر، دار المعارف، ص 124

[19]- مصطفى هدارة، 1994م، بحوث فى الادب العربى الحديث، بيروت، دارالنهضة العربية، ص 22
[20] - وليد مشوح، 1993م، دراسات فى الشعر العربى الحديث، ط1، دمشق، اتحاد كتاب العرب، ص129-134
[21]- محمد زغلول سلام، دت، النقد الادبى الحديث اصوله واتجاهات رواده، الاسكندرية، منشاة المعارف، ص127
[22]- ميرسيا إلياد، 2008م، الأساطير والأحلام والأسرار، دمشق، منشورات وزارة الثقافة فى الجمهورية العربية السورية، ص 174

[23]- سليمان العيسى، مرجع ذكر سابقا، ص 39
[24]-سليمان العيسى، مرجع ذكر سابقا، ص 39

[25]- سليمان العيسى، مرجع ذكر سابقا، ص 4

[26]- سليمان العيسى، مرجع ذكر سابقا ، ص116

[27] - عباس يوسف الحداد، 2000م، تجليات الأنا فى شعر إبن الفارض، الكويت، رابطة الأدباء، ص48

[28]-سليمان العيسى، 1999م، ديوان الاطفال، دمشق، دارالفكر، ص6

[29]-سليمان العيسى، 2009م، أراجيح تغنى للأطفال، امارات، دبى الثقافة ، ص 25

[30]- سليمان العيسى، مرجع ذكر سابقا،ص 135

[31]- سليمان العيسى، مرجع ذكر سابقا مصدر نفسه، ص 68

[32]- سليمان العيسى، مرجع ذكر سابقا، ص 75

[33]- أحمد نجيب، 1991م، أدب الاطفال علم وفن، ط1، مصر، دارالفكر العربى، ص 99